يقفون على أبواب هؤلاء الشيوخ ويمدحونهم ، وينالون عطاياهم ، كما كانوا يفعلون فى الجاهلية . ولم تقف العصبية القبلية عند العرب وحدهم ، بل تعدتهم إلى الموالى .

فإن أهل العراق الأصليين لجئوا إلى العرب ، وحسبوا أنفسهم عليهم ، واختار كل جماعة منهم قبيلة من القبائل تحتمى بها ، وتجعل نفسها من مواليها ، وتتعصب لها ، وتصبح من رجالها : لها مالها ، وعليها ما عليها . ونشأ من إحياء هذه العصبية أن أطلت الفتن برأسها من جديد للخلاف القبلى .

ثم تلون الخلاف بلون جديد ، فبعد أن كان تعصبا للقبيلة صار تعصبا للبلد ، فأهل البصرة من عدنانين وحميريين وموال — يتعصبون على أهل الكوفة ، ويرفعون من شأن بلدهم ، ويتحدثون بمحاسنه ومزاياه ، ويفخرون به على البلد الآخر .

ثم لم يلبث هذا الصراع أن صار صراعا سياسيا ، فإن عليّا نزل الكوفة ، وعائشة وطلحة والزبير نزلوا البصرة ؛ ونصر عليّا أهل الكوفة ، ونصر عائشة أهل البصرة فى وقعة الجمل . ثم أحب علىّ أهل البصرة ، وكانوا أقرب إلى قلبه من أهل الكوفة ، وكان علماؤها وأدباؤها موضع عطفه ورعايته .

والدعوة العباسية بدأت فى الكوفة لاعتمادها أول الأمر على العلويين ، فانتعشت الكوفة ، واستكانت البصرة . وهكذا كان البلدان